مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

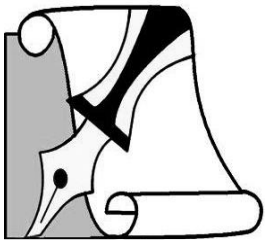

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

إسرائيل والانسحاب الاميركي من افغانستان

1 – مدخل:

تبدت عقدة فيتنام أكثر ما تبدت لدى الاميركيين، بالرغبة، لا بل بالحماسة المفرطة في استعمال المزيد والمزيد من الوحشيّة والبطش في الحروب التي خاضوها منذ السبعينيّات وحتى الآن في المنطقة العربية بشكل خاص. وشهيّة الأميركيين للحروب والاعتداءات زادت كثيراً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في مطلع التسعينيات عندما لم يعد يقف في طريقهم أي شيء لشن حروبهم الإجرامية المدمرة، وفي كسب تغطية مجلس الأمن الدولي لكل ذلك.

فقط بعد العام 2011 وقرار مجلس الأمن «بحماية المدنيّين» في ليبيا، واستغلال أميركا للقرار لشنّ حرب مدمّرة، لا تزال ليبيا تعاني منها، تبلورت معارضة روسيّة وصينيّة ضد محاولتها نيل تغطية دوليّة لحروبها التخريبية التي لا تنتهي. ولم تتوقّف أميركا عن شن الحروب منذ الغزو العراقي للكويت في عام 1990. فأصبحت الحروب ـ عن قرار ورغبة القيادتين السياسيّة والعسكريّة في واشنطن ـ فرصة لتصليب التدريبات العسكرية والإعداد للاعتداءات المقبلة. والصين، المنافس الذي يقض مضاجع المسؤولين الأميركيّين، تفتقر لإعداد وتدريب عناصر جيشها، لأنها لم تخُض حرباً منذ الحرب الفيتناميّة ـ الصينيّة في عام 1979. لكن الصين ليست مستعجلة لفرض نفوذها السياسي حول العالم.

إن قرار الانسحاب الأميركي من افغانستان سيكون له تأثير كبير على التدخّل العسكري الأميركي في الشرق الأوسط وخارجه. فحلفاء أميركا الطغاة في الخليج أبدوا ذعراً وتخوّفاً من القرار الأميركي. وأتباع التحالف السعودي ـ الإماراتي تباكوا على «المترجمين الأفغان» الذين تركتهم أميركا خلفها وبينهم مجرمون وقتلة شاركوا في حفلات التعذيب في قاعدة بغرام العسكريّة. أتباع التحالف السعودي ـ الإماراتي نسوا أن صعود طالبان لم يمكن ممكناً من دون تمويلهم وتسليحهم في التسعينيّات. والملوك والمشايخ أصبحوا فجأة ليبراليي الذائقة. فكيف يمكن أن تترك أميركا حلفاءها بهذه السرعة وبهذه الطريقة المُهينة؟

الإعلام الخليجي بات موجّهاً نحو الغرب أكثر بكثير ممّا هو موجّه نحو العالم العربي. ولهذا، فقد أنشأ حكّام السعودية والإمارات مواقع وصحفاً بالإنكليزية لأنهم يهتّمون برضى دول الغرب وحتى الرأي العام في تلك الدول. لا يخاطب أحد من هؤلاء الحكام جمهور العالم العربي. لا حاجة عندهم لذلك. ولا يعلم العرب كم تنفق هذه الدول على أعمال الخير والإحسان وتمويل الجامعات في الغرب. هم يريدون أن يشتروا تغطية إيجابية لطغيانهم وحروبهم ومؤامراتهم، وقد نجحوا في ذلك.

لقد أدركت الإمارات وقطر والسعودية أهمية التأثير على إعلام واشنطن وعلى مراكز الأبحاث فيها. وقد ركّزت استراتيجيّة سفير الإمارات في واشنطن، يوسف العتيبة، على كسب أقطاب مراكز الأبحاث. وأظهرت مراسلات تسرّبت كم أن عاملين في مراكز الأبحاث كانوا ينسّقون معه مباشرة فيما يكتبون ويقولون .

القلق الخليجي من الانسحاب الأميركي من أفغانستان له أسبابه المشروعة. الطغاة هناك يرون بأمّ العيْن كيف أن خيار التدخّل العسكري المباشر من قبل أميركا اضمحل كثيراً عبر السنوات بسبب الإخفاقات والهزائم المتوالية التي منيت بها. لم تنفق أميركا على حروب ولم ترمِ نيراناً بكثافة قط كما رمت وأنفقت على حرب العراق وأفغانستان. واستخلاص دروس التجربتيْن يكون في صلب منهج الكليّات العسكريّة الأميركيّة. طبعاً، لا يمكن القول ـ على طريقة التحليلات الأميركيّة ـ أن الاحتلال كان يمكن أن ينجح لو أن أميركا فعلت هذا أو ذاك، أو لو أنها كثّفت من حمم نيرانها، أو لو أنها لجأت إلى الخيار الذرّيّ (كان هناك بحث جدّيّ في الحرب في أفغانستان في 2001 في صوابيّة استعمال قنبلة نوويّة هناك).

الاحتلال يناقض مشيئة الشعوب، وأميركا أقلّ دولة مقبوليّةً من قِبل العرب والمسلمين (نتحدّث عن الشعوب لا عن الحكّام الذين يتبارزون في استضافة القواعد العسكريّة وفي طلب الود الأميركي. ونعلم اليوم كم بذل محمد بن سلمان ومحمد بن زايد من جهد لمجرّد الحصول على لقاء مع ترامب بعد انتخابه).

إمبراطوريّة أميركا تستطيع أن تغني بلداً بحاله في مدّة قصيرة لكنها لا تستطيع أن توطّد دعائم احتلالها في دولتيْن أنفقت فيهما الترليونات. ولولا خوف العراق وأفغانستان من العقوبات الأميركية فإنه كان سيكون للبلدين سياسة شديدة العداء نحو أميركا (بعد ساعات من وصول طالبان إلى كابول، قرّرت الحكومة الأميركيّة مصادرة المليارات من أموال حكومة أفغانستان وتبعها صندوق النقد الدولي في إجراءات مماثلة). هنا تكتشف أميركا أن تجربة اليابان أو ألمانيا حيث نجحت في خلق ثقافة سياسيّة ملائمة لها لن تتكرّر. لكن أحداً لا

يذكر أن أميركا أبقت على قوات عسكريّة لها في كلّ من ألمانيا واليابان. هل خيارات اليابان وألمانيا السياسيّة ستكون مختلفة من دون وجود قوات أميركية؟ بالتأكيد نعم. ففي عام 1983، تظاهر الشعب الألماني الغربي على مدى عشرة أيام متواصلة ثم تجمّع نحو مليون متظاهر للاحتجاج على نشر صواريخ «برشنغ 2» في البلاد. كانت تلك التظاهرة الأكبر في ألمانيا بعد الحرب العالميّة الثانية. والقواعد العسكريّة في اليابان لا تزال تثير حفيظة الشعب الياباني بسبب تكرار حوادث الجرائم الجنسيّة من قِبل جنود اميركيين .

أميركا قرّرت بعد 2001 أن قوتها العسكريّة الوحشيّة، وتجاهلها لكل قوانين الحرب ومعايير حقوق الإنسان ستفرض على شعوب المنطقة المشيئة الاستكبارية. وينسى البعض، أن إدارة بوش كانت تعرض حربيها في أفغانستان والعراق على أنهما البداية فقط، وأن نجاح التجربة سيؤدّي إلى سقوط تلقائي ـ أو إلى حروب أميركيّة جديدة ضد أعداء أميركا في المنطقة. كان مفاد نظريّة المحافظين الجدد أن نجاح النماذج الديمقراطيّة في العراق وأفغانستان سيُبهر العالم العربي والإسلامي وسيجعل منه تابعاً للسياسات الأميركيّة. لكن هذا الجدال لا يجب أن يجري على الطريقة الأميركيّة للبحث في أهلية العرب أو المسلمين للديمقراطيّة أو للبحث في أخطاء تطبيق الديمقراطيّة. أميركا لم تكن في وارد دفع الخيار الديمقراطي، لا في أفغانستان ولا في العراق. ولم تكن أميركا يوماً بعد الحرب العالميّة الثانية في وارد قبول الديمقراطيّة في بلادنا. أميركا عارضت وحطمت كل المسارات الديمقراطيّة في العالم العربي والشرق الأوسط، وهي ناصرت كل الانقلابات والحروب ضد الديمقراطيّة: من الانقلاب ضدّ مصدّق في إيران في عام 1953 إلى الحرب الانعزاليّة ضد النظام اللبناني (أميركا دعمت الحرب الانعزاليّة التي أرادت جعل النظام اللبناني أسوأ بكثير مما كان عليه، والتجربة الفاشيّة لبشير الجميّل في مناطق نفوذه كانت نموذجاً عمّا أرادت إسرائيل وأميركا تعميمه علينا) والانقلاب على مرسي والانقلاب الأخير ضد «النهضة» في تونس. أميركا عارضت كلّ خيارات الاقتراع الحرّ في العراق، وهي لم تسِر به إلّا بعد أن أصر سماحة المرجع السيد السيستاني عليه.

هذه معضلة أميركا في بلادنا: تريد أن تسوّق لنفسها بشعارات الحرية والديمقراطيّة لكنها ترعى وتدعم وتسلّح النظم والجهات الاستبداديّة من المغرب إلى الخليج، وهي تعلم أن الخيار الديمقراطي يضر بمصالحها وبثوابت سياساتها وهي: إسرائيل والنفط ومصالح الإمبراطوريّة.

الذين يستنجدون بأميركا لتخليصهم من حزب الله لم يستوعبوا بعد فشلها في العراق وأفغانستان، وحتى في لبنان حين كانت قوى المقاومة المناهضة للاحتلال أضعف بألف مرّة من اليوم.

لم تحاول أميركا في أفغانستان قطُّ أن تؤسّس لنظام ديمقراطي. فلم يكن هذا وارداً عندها. هي أرادت أن توصل أزلامها (في «التحالف الشمالي» وفي المهاجر الخليجيّة) إلى السلطة بترتيبات محضّرة سلفاً. لم تجرِ انتخابات ديمقراطية حقيقيّة في أفغانستان مرّة واحدة. فقط بعد سقوط حكم أشرف غني اعترفت الصحافة الأميركيّة أنه زوَّر آخر انتخابات له، كما كان حميد كرزاي يزوّر انتخاباته من قبل وبرعاية أميركيّة. ومع وجود قوات الاحتلال الأميركي، فإن المسؤوليّة في كلّ ما يجري في البلد من قتل وتدمير وفساد وتزوير يقع على عاتق المحتلّ، لا على أدوات المحتل. وأشرف غني حالة مفيدة لنا في لبنان. هذا رجل يمثّل نموذج التكنوقراطيّة في الحكم (ينسى الناس أن فؤاد السنيورة قبل أن تضعه أميركا في رئاسة الوزارة، كان تكنوقراطيّاً وناشطاً في «النادي الثقافي العربي» عندما كانت القومية العربيّة مؤيّدة لطروحات جمال عبد الناصر). أشرف غني، مثله مثل زلماي خليلزاد، درس في الجامعة الأميركيّة في بيروت وكان ماركسيّاً. ويتذكّر معاصروه في بيروت أنه كان الطالب المفضّل لحنا بطاطو الذي دفعه لنيل الدكتوراه في جامعة كولومبيا. ودرّس غني مادة الإنثروبولوجيا في جامعات أميركيّة قبل أن يستقرّ في البنك الدولي. ضاقت أميركا ذرعاً بحميد كرزاي لأنه بات يتبرّم من عدد القتلى المدنيّين الذي يسقطون دوريّاً بالقصف الأميركي، كما أنه اعترض على الغارات الليليّة التي كانت القوات الخاصّة الأميركيّة تشنّها على منازل المدنيّين. واستبدال الدمية بأخرى تقليد أميركي في سياساتها الخارجيّة. إن شدّة ولاء وخوف محمد بن سلمان من إدارة بايدن هو علمه أنها تستطيع أن تستبدله بقريب له لو أرادت. وفي العراق، كانت الإدارة الأميركيّة تستبدل الدمية الشيعيّة بأخرى في رئاسة الحكومة.

إنّ فهم مشكلة أميركا العويصة يحتاج إلى قراءة «تقرير المفتّش العام لإعادة إعمار أفغانستان». فالتقرير يذكّر بفشل وهزيمة الاحتلال الأميركي في فيتنام. لم تتّعظ أميركا، ولا تتعظ الإمبراطوريات المغرورة. هي لا تحتاج لأن تكون على معرفة بالشعوب التي تقهرها، هي تعرف ما تحتاج أن تعرف. الصحافي سيمور هيرش وصف الكتاب العنصري، «العقل العربي» (لمؤلّفه رافائيل باتاي) بأنه لعب دورَ الكتاب المقدّس لقوات الاحتلال الأميركي في العراق. حتى في ممارسة التعذيب النفسي والجنسي، كان الكتاب هو مُرشد المجرمين الذين

ارتكبوا الفظائع ضد حقوق المساجين العراقيّين. يشرح تقرير المفتش العام أن أسباب الفشل الأميركي متعدّدة ومتنوّعة: فشل الاحتلال في بلورة هدف للاحتلال، وفشل في إيجاد مواعيد معقولة لتحقيق بناء أفغانستان. والمسارعة في الإنفاق زادت من حجم الفساد المستشري (أليس معقولاً أن هناك في لبنان من يناشد أميركا ـ يسمّونها عندنا «المجتمع الدولي»، تهذيباً ـ بأن تأتي إلى لبنان كي تخلّصه من الفساد؟ وهل هناك فساد أسوأ من الفساد الذي خلقته أميركا في العراق وأفغانستان؟ ثم أليس معظم الفاسدين في لبنان هم أزلام أميركا بالدرجة الأولى؟). لكن الطرافة في تقرير المفتّش العام تكمن في تكرار استخلاص الدروس من تجربة فيتنام (كم عقدت وزارة الدفاع الأميركيّة من جلسات وورش عمل لاستخلاص دروس حرب فيتنام، لأن الإمبراطوريّات لا تقبل الفشل خياراً). يقول المفتش إن الاحتلال الأميركي فشل في معرفة حقيقة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسيّة للشعب الأفغاني وأنه كان «يتحرّك في الظلام» (قيل الشيء نفسه عن الاحتلال الأميركي في فيتنام). يقول التقرير: «لقد فرضت الحكومة الأميركيّة بطريقة خرقاء نماذج تكنوقراطيّة غربيّة على المؤسّسات الاقتصادية الأفغانيّة»، ويضيف أنها درّبت الجيش الأفغاني على أسلحة متطوّرة لم يستطِع أن يفهمها (نحن شعوب متخلّفة لا نفهم مثل الإسرائيليّين أنواع السلاح). وانتقد التقرير الاحتلال لأنه فرض نظام قانون رسمي في بلاد تعوّدت حلّ 80 إلى 90 في المئة من مشاكلها من خلال وسائل غير رسميّة (التنميط الاستشراقي مرّة أخرى). ويضيف التقرير الاستشراقي أن الاحتلال لم يفهم العقوبات الاجتماعية والثقافية التي أعاقت تحرير البنات والنساء. أي أن التقرير يبرّئ الاحتلال من جرائمه ويتّهمه فقط بالإفراط في النوايا الحسنة وأنه أصرّ على حكم القانون وعلى تحرير النساء فيما كان الشعب المتخلّف مرتاحاً في تخلّفه. المفتّش العام لم يلحَظ مثلاً أن قصف الأعراس والتجمّعات المدنيّة واقتحام المنازل في الليل والتعذيب والقتل الذي رافق السجن الذي أنشأه جيش الاحتلال في قاعدة بغرام كانت عوامل أمدّت طالبان بالمزيد من التأييد. مثل فيتنام، لا يستطيع المفتش العام الأميركي لوم المحتل إلّا بتحميله المسؤوليّة عن نيّاته الحسنة نحو الشعب المُحتل.

يعترف التقرير بأن الاحتلال الأميركي لم يملك من المعلومات ما يحتاجه كي يجعل من الاحتلال أمراً ساراً في حياة الشعب الأفغاني. لو أن أميركا فهمت الشعب المُحتلّ، لأدركت أنه كان عليها الإحجام عن مبادراتها

في إسعاد الشعب الأفغاني. يعترف التقرير بالفساد لكنّه يلوم متقاعدين محليّين، كأن هؤلاء لم يكونوا أطرافاً في جسم الاحتلال نفسه.

ستصدر تقارير كثيرة عن أجهزة الدفاع والمخابرات الأميركيّة لدراسة أسباب الفشل الأميركي. هذا لم يكن مفاجئاً. الذي فاجأ القيادة العسكرية والاستخباراتيّة أن بايدن أقدم على خطوة لم يجرؤ أوباما ولا ترامب على أتخاذها، أي إصدار القرار بالانسحاب. والذي أزعج الأميركيّين أكثر من غيرهم أن مشاهد الانسحاب لم تكن بعيدة تماماً عن مشاهد الانسحاب الأميركي من فيتنام. والإعلام هنا مُحبّ للحرب ومؤجّج لها. والإعلام اللبناني المحلّي ودعاة حقوق الإنسان انزعجوا من الشماتة التي صدرت عن عرب نحو الهزيمة الأميركيّة. هؤلاء يقبلون بالتشفّي فقط في حالات اغتيال لمسؤولين إيرانيّين أو مقاومين من قبل إسرائيل. عندها فقط يجوز التشفي والشماتة. الانسحاب الأميركي كان مُذلّاً وذكّرنا بمشاهد انسحاب جيش لحد. وهل كان الجيش الأفغاني إلا نسقاً من جيش لحد؟ الاحتلال ينشئ جيشاً رديفاً ويحتمي به ليخفّف من إصاباته. كان يقتل نحو 20 في المئة من الجيش الأفغاني الذي كان يطيع الأوامر التي تصدر عن الآمر والناهي الأميركي. لكن ـ بعكس حركة طالبان ـ لم تكن لهذا الجيش قضيّة يؤمن بها. الاحتلال لا يمكن أن يكون قضيّة للُمحتلّين، خصوصاً إذا لم يكونوا من كبار المستفيدين. لكن انهيار الجيش الأفغاني كان شديد الإحراج للحكومة الأميركيّة. هذه حكومة تصرّ على تدريب كل الجيوش العربيّة (حتى الجزائر الأبيّة باتت تسمح بمدرّبين عسكريّين أميركيّين). من سيثق بالتدريب العسكري الأميركي؟ أميركا أنفقت مئات الملايين على الجيش العراقي والجيش الأفغاني، والاثنان انهارا بسرعة رهيبة. الأول أمام «داعش» (قبل أن تنقذه ميليشيات «الحشد» ـ مع أن البروباغندا الأميركيّة والعربيّة الخليجيّة ترفض منح «الحشد» أي فضل له والثاني أمام طالبان. ونحن في لبنان مثال للعبرة: كل هذا التهليل والدعاية حول الجيش اللبناني: من يصدّقه بعد؟ الحكومة الأميركيّة درّبت وسلّحت وأغدقت في إنفاقها على جيش تعداده 300 ألف في أفغانستان، وهو انهار في ساعات. وهي في لبنان تصرّ على أن الجيش الهزيل (بالإعداد والتسليح والتجهيز) الذي تدرّبه هو في كامل الجهوزيّة للدفاع عن لبنان. من سيصدّق هذا الكلام؟ إن تصديق الوصف الأميركي لقدرات وأهليّة الجيش اللبناني هو خيانة وطنيّة صفيقة. الجيش اللبناني عاجز عن فكّ حاجز للقوات في المعاملتين، وأميركا تريدنا أن نصدّق أنه قادر على حماية لبنان من أخطار خارجيّة (مسرحيّة معركة الجرود كانت ترتيباً أميركياً

مستعجلاً لحرمان المقاومين الذين طردوا النصرة و«داعش» من الجرود من الرصيد الذي استحقّوه، لأنهم هم الذين طردوهم قبل إطلاق بضع قذائف من مدفعية الجيش لإيهام الشعب اللبناني أن الجيش هو المُنقذ)

حلفاء أميركا في ورطة. فمرة أخرى، تتخلّى أميركا ـ في نظرهم ـ عن أدوات لها، مثل الطغاة العرب. هذا يؤشر إلى استحالة تدخّل عسكري أميركي على نطاق واسع كما في أفغانستان والعراق. أميركا لن تغادر بلادنا لكنها ستقصفها وتقتلنا عن بعد، وهي ستستعين بجيوش محلّيّة (تعمل على تدريبها) للقيام بالمهام الموكولة إليها. لكن هذا الانكفاء الأميركي سيزيد من أواصر التحالف بين دول الخليج وبين دولة العدوّ الإسرائيلي. وأميركا ستسمح لهم بحريّة حركة أكبر: وما التدخل الإماراتي المتزايد في ليبيا واليمن ولبنان ومصر وتونس والعراق إلا مثال عن ذلك (النظام الإماراتي ساهم أيضاً في الدعم العسكري للاحتلال الأميركي في أفغانستان).

الإشراف العسكري على تدريب جيوش نظام الطغاة سيزداد، بعد أن كان «الموساد» يشرف على تدريب المخابرات المغربية والإماراتيّة والسعوديّة في السنوات الأخيرة (في حالة المغرب منذ الستينيّات). والذين يستنجدون بالقوات الأميركيّة لتخليصهم من حزب الله في لبنان يحلمون. فهؤلاء لم يستوعبوا بعد الفشل الأميركي في العراق وأفغانستان ـ وحتى في لبنان حين كانت القوى المناهضة للاحتلال الأميركي أضعف بألف مرّة مما هي عليه اليوم.

عاملان اثنان سيتجاذبان خيارات السياسة الخارجيّة الأميركيّة بعد إذلال أفغانستان: خيار يريد الانتقام وبسرعة لتحقيق نصر سريع للاستفاقة من هزيمة شنعاء، وخيار يرفض أيّ تفكير بتدخل عسكري كبير، وذلك لتجنّب ما لحق المصالح الأميركيّة (الداخلية والخارجيّة) من أذى. لكن هذه إمبراطوريّة مغرورة وللإمبراطوريّات طموحات ورغبات تتخطّى المنطق والعقل. لكن تجربة أفغانستان ستكبّل الجموح الاستعماري الأميركي لبضع سنوات ـ على الأقل.

2 – فشل استراتيجي:

أقر الرئيس الأميركي جو بايدن في خطاب ألقاه في البيت الأبيض، بأن أهداف الولايات المتحدة في أفغانستان أصبحت "غامضة على نحو متزايد" خلال العقد المنصرم. وحدد مهلة لسحب جميع القوات الأمريكية المتبقية

في أفغانستان والبالغ عددها 2500 في موعد أقصاه 11 أيلول 2021، أي بعد 20 عاما من هجمات تنظيم القاعدة على الولايات المتحدة التي أطلقت هذه الحرب. وبالانسحاب من دون تحقيق نصر واضح، تفتح الولايات المتحدة الباب أمام انتقادات بأن تلك الخطوة تمثل اعترافا فعليا بفشل الاستراتيجية العسكرية الأمريكية. وقال بايدن "لم يُقصد منها مطلقا أن تكون مهمة أجيال متعددة. هوجمنا وذهبنا للحرب بهدف واضح. حققنا هذه الأهداف"، مشيرا إلى أن القوات الأمريكية قتلت زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن عام 2011 وإلى أن التنظيم "تراجع بشدة" في أفغانستان. وأضاف: "حان الوقت لإنهاء الحرب الأبدية".

لقد أودت الحرب بحياة 2448 جنديا أمريكيا وبلغت تكاليفها ما يقدر بنحو تريليوني دولار. وكان حجم القوات الأمريكية في أفغانستان قد بلغ ذروته في 2011 عندما تجاوز 100 ألف جندي. وكان الرئيس بايدن يواجه مهلة تنتهي في أول أيار حددها الرئيس السابق دونالد ترامب الذي حاول سحب القوات قبل أن يترك البيت الأبيض لكنه فشل. ويسمح قرار بايدن ببقاء قوات في أفغانستان لما بعد الأول من أيار لكن المسؤولين أشاروا إلى أن من الممكن رحيل القوات كلها قبل 11 أيلول. وقال بايدن "أنا الآن رابع رئيس أمريكي يشهد وجودا للقوات الأمريكية في أفغانستان. جمهوريان وديمقراطيان... لن أنقل هذه المسؤولية إلى خامس". والتقى وزير الخارجية أنتوني بلينكن مع مسؤولين في مقر حلف شمال الأطلسي في بروكسل وقال إن القوات الأجنبية الموجودة تحت قيادة الحلف في أفغانستان ستغادر البلاد بالتنسيق مع الانسحاب الأمريكي بعد أن قالت ألمانيا إنها ستنفذ الخطط الأمريكية ذاتها. كما تحدث بلينكن عبر الهاتف مع قائد الجيش الباكستاني وناقشا عملية السلام وفقا لما نشره بيان صادر عن المركز الإعلامي للجيش الباكستاني. وقال الرئيس الأفغاني أشرف غني على تويتر إنه تحدث مع بايدن وإنه يحترم قرار الولايات المتحدة. وأضاف: "سنعمل مع شركائنا الأمريكيين لضمان انتقال سلس و"سنواصل العمل مع شركائنا في الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في الجهود الجارية لتحقيق السلام". ومن المقرر عقد قمة عن أفغانستان يوم 24 نيسان في إسطنبول تشارك فيها الأمم المتحدة وقطر.

من ناحية أخرى قالت حركة طالبان التي أطاحت بها القوات الأمريكية من الحكم عام 2001 إنها لن تشارك في أي قمة تتخذ قرارات تخص أفغانستان إلى أن تخرج جميع القوات الأجنبية من البلاد. ودعا ذبيح الله مجاهد المتحدث باسم طالبان يوم الأربعاء الولايات المتحدة إلى الالتزام بالاتفاق الذي توصلت له الحركة مع

إدارة ترامب. وكتب على تويتر قائلا "إذا تم الالتزام بالاتفاق فإن المشكلات الباقية ستحل أيضا... إذا لم يتم الالتزام بالاتفاق... فإن المشكلات ستتزايد حتما". ورفض بايدن فكرة أن توفر القوات الأمريكية الضغط اللازم من أجل تحقيق السلام، قائلا "منحنا هذه الفكرة عقدا من الزمان ولم تثبت فاعليتها". وأضاف "ينبغي ألا تُستخدم القوات الأمريكية ورقة مساومة بين الأطراف المتحاربة في دول أخرى". وذكر أيضا أن تهديد الإرهاب ليس قاصرا على بلد واحد وإن من غير المجدي ترك القوات الأمريكية في أرض خارجية واحدة بكلفة مالية كبيرة. ولدى زيارته مقبرة أرلينجتون الوطنية لاحقا، قال بايدن إن قرار سحب القوات لم يكن صعبا. وأضاف "بالنسبة لي كان الأمر واضحا تماما".

في أفغانستان، قال مسؤولون في العاصمة كابول إنهم سيواصلون المشاركة في محادثات السلام وإن قواتهم ستدافع عن البلاد. وقال عبد الله عبد الله رئيس المجلس الأعلى للمصالحة الوطنية التابع للحكومة الأفغانية والمرشح الرئاسي السابق "الآن ومع وجود إعلان بشأن انسحاب القوات الأجنبية خلال عدة أشهر نحتاج لأن نجد سبيلا للتعايش معا... نعتقد أنه ليس هناك فائز في الصراعات الأفغانية ونأمل أن تدرك طالبان ذلك أيضا".

يمكن للمسؤولين الأمريكيين أن يزعموا القضاء على القيادة الأساسية لتنظيم القاعدة في المنطقة منذ سنوات بما في ذلك تعقب واغتيال زعيم القاعدة أسامة بن لادن في باكستان المجاورة عام 2011. لكن العلاقات بين طالبان وعناصر القاعدة مستمرة ولا يزال تحقيق السلام والأمن أمرا بعيد المنال.

السناتور الجمهوري ليندسي جراهام من أشد المنتقدين لبايدن، وقال إن سحب القوات ستكون له نتائج عكسية بإطالة أمد الصراع ومن المحتمل أن يبعث الحياة من جديد في تنظيم القاعدة. وأضاف "ما الذي سنخسره بالانسحاب؟ سنخسر بوليصة التأمين تلك ضد 11 ايلول أخرى". لكن المعارضين للتورط العسكري الأمريكي يقولون إن من الواضح أنه فشل في دفع طالبان إلى إنهاء الصراع بالشروط الأمريكية. ويلقي بعض الخبراء باللائمة على الفساد المستشري في أفغانستان وتمتع حركة طالبان بملاذ آمن عبر الحدود في باكستان والأهداف المفرطة الطموح المتعلقة بتدريب قوات الأمن الأفغانية. وانتقد بايدن التطلعات الأمريكية في الماضي بتحقيق قدر من الوحدة للأفغان، وهو هدف تحدى دروس التاريخ على مدى قرون. و"لم يتحقق قط".

3 – تداعيات بالغة الأهمية:

حمل الانسحاب الأمريكي السريع وسيطرة حركة طالبان الأسرع على العاصمة كابول وعلى أفغانستان بأسرها، تداعيات بالغة الأهمية على المنطقة والعالم. ويأتي هذا الانسحاب ضمن توجّه عام آخذ في التطوّر، منذ عهد الرئيس أوباما ومن بعده ترامب وصولا إلى بايدن، يرمي إلى تقليص مساحة التدخل الأمريكي المباشر إلى الحد الأدنى. ويعكس قناعة أمريكية عميقة بأن عقودا من استثمار تريليونات الدولارات، وخسارة عشرات آلاف القتلى والجرحى، لم تأت بالنتائج المرجوة، وهناك شعور عام بأن أمريكا ليست مستعدة بعد أن تدفع ثمن أوهامها.

على الرغم من أن الإدارة الأمريكية قررت، قبل عامين وفي عهد ترامب، سحب قوّاتها العسكرية من أفغانستان، إلّا أن ما حدث لم يكن انسحابا منظما، بل هروبا أمريكيا مهيناً للقوات العسكرية وللمدنيين، من دبلوماسيين ورجال أعمال وممثلي مؤسسات المجتمع المدني. ويؤدّي مثل هذا المشهد، المنقول إعلاميا بالصوت والصورة، إلى كيّ وعي الناخب والمسؤول ومتخذ القرار في الولايات المتحدة، ويغذّي التوجهات الانعزالية في السياسة الخارجية الأمريكية. ومهما حاول الرئيس الأمريكي جو بايدين، تجميل الصورة وتخفيف وطأتها، إلّا أن الناس لا تستطيع أن تكذّب أعينها، وهي ترى الفشل يتجسّد صوراً متتالية للأمريكيين، ولمن حالفه الحظ من حلفائهم الأفغان، يلوذون فرارا خوفا من انتقام محتمل لحركة طالبان، التي عادت إلى الحكم بقوّة السلاح وإرادة القتال. وقد وصف أحدهم ما حدث في أفغانستان بأنه «بعد عمل 4 رؤساء، واستثمار 2 تريليون دولار، وخسارة أرواح حوالي 7000 عسكري، واحتلال وحرب، وبعد 20 عاما من كل هذا، جرى استبدال طالبان بطالبان!». بحكم النتيجة فشل التدخل الأمريكي في أفغانستان. فبعد عشرين عاما من الاحتلال والاستثمارات الضخمة لبناء الأمّة والدولة والنظام والجيش، انهار الجيش والنظام بلا قتال أو مقاومة تذكر، وانسحب الأمريكيون، بلا ضمانات ملزمة، تاركين خلفهم حلفاء الأمس تحت رحمة حركة طالبان. ولعل النتيجة المباشرة لمشاهد الفشل الصادمة هي الضربة في الصميم لفكرة التدخل الأمريكي المباشر في قضايا دول العالم، والتسريع في الابتعاد عن وحل الشرق الأوسط بشكل خاص. يقرأ حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة أحداث كابول على اعتبار أن الأهم فيها هو الهروب الأمريكي، بعد الفشل وليس انتصار حركة طالبان، رغم خشيتهم من أن يحمل هذا النصر بعض المخاطر. وإذ يرى هؤلاء أن الولايات المتحدة تتخلّى

بسهولة عن حلفائها، وتترك الساحة لأعدائهم، فإن الثقة بها، في المنطقة وفي العالم، تتراجع بشكل كبير، ويبدأ كل واحد منهم في التفكير في مصيره إذا تخلّت عنه أمريكا، كما تخلت عن حلفائها الأفغان. كان رد الفعل الإسرائيلي الأوّل، ما ردّده سياسيون وضباط سابقون: «نحن لسنا أفغانستان، نحن لسنا أفغانستان» شارحين أن إسرائيل «قوية وتعتمد على قوتها العسكرية الذاتية» وتستطيع «الدفاع عن نفسها بنفسها» من دون الحاجة لتدخل أجنبي. بموازاة ذلك عبّر الإعلام الإسرائيلي عن قلق أمني وسياسي في الجيش والحكومة من أن الانسحاب الأمريكي ذاته والطريقة التي جرى فيها، يضرب قوة الردع الأمريكية في المنطقة، والردع الأمريكي والإسرائيلي سيّان حتى الآن. وما يخيف النخب الإسرائيلية، السياسية والأمنية، أكثر هو أن يؤدّي انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة إلى «تراجع دراماتيكي» في الأهمية الاستراتيجية لإسرائيل، خاصة أن الهم الأمريكي ينصب في المرحلة المقبلة على المشاكل الداخلية، وعلى مواجهة التحدّي الاستراتيجي الصيني ومعه التحدي الروسي. ويصحب ذلك هبوط كبير في وزن وتأثير يهود الولايات المتحدة الداعم لإسرائيل. وتنصب الجهود الإسرائيلية حاليا على منع الخسائر في المجال الاستراتيجي الإقليمي. حيث تعتقد أوساط الحكم في إسرائيل أن الانسحاب الأمريكي من المنطقة ينفّذ فعلا، وهي بدأت تعيد حساباتها للتأقلم مع المناخ الاستراتيجي الجديد. وشرعت بحملة تسويق عبر تسريبات وبث «معطيات» بأن لإسرائيل قدرة عسكرية فعلية لضرب إيران لوحدها، من دون مساعدة أمريكية ميدانية. ولكنّها تعرف أنه حتى يكون هذا التهديد «مقنعا» هناك حاجة لاستثمار ميزانيات إضافية ضخمة، أكبر بكثير من زيادة مبلغ 2 مليار دولار في الميزانية العسكرية الإسرائيلية المعدّة لعام 2022. كما يحتاج ذلك إلى دعم أمريكي أضخم بكثير مما هو قائم اليوم، على صعيد تخصيص الموارد والأسلحة المتطوّرة جدّا، التي ما زالت ممنوعة من التصدير إلى خارج الولايات المتحدة. وعلى الرغم من كل ما يقوله «خبراء» الأمن الإسرائيليون فإنّ من الواضح أن جيشهم لن يستطيع أن يحقق أهدافه في حرب شاملة مع إيران وحلفائها، وهو بحاجة، حين تقع الواقعة، إلى مشاركة أمريكية من النوع الثقيل والمستحيل، حاليا على الأقل.

إضافة إلى زيادة الإنفاق العسكري، للتأقلم مع حالة الانسحاب الأمريكي، تسعى إسرائيل سرّا وعلنا إلى بناء «تحالف عربي إسرائيلي» لمواجهة ما تسمّيه التهديد الإيراني والتمدّد التركي. ورسالة إسرائيل إلى «عرب أمريكا» هي أن يتحوّلوا إلى «عرب إسرائيل» لأنّها هي سندهم الثابت الوحيد بعد ابتعاد الولايات المتحدة عن

المنطقة وعن مشاكلها وأوحالها. ويرى بعض الاستراتيجيين الإسرائيليين ما يحدث بأنّه فرصة لتقوية التحالف الإقليمي مع الدول العربية، ما يشكّل انقلابا على السياسة الإسرائيلية، كما كانت حتى منتصف السبعينيات، التي اعتمدت على التحالف مع الأطراف غير العربية، خصوصا تركيا وإيران، ضد أعدائها العرب. وصارت إسرائيل، هذه الأيام، ترى في العرب حلفاء لها، منهم من فعل ذلك رسميا، ومنهم من تعمل على جرّه إلى حظيرة التطبيع. قبل أيام كتب الجنرال يعقوب عميدرور الرئيس السابق لشعبة المخابرات العسكرية الإسرائيلية، مقالا دعا فيه الدول العربية إلى «الوحدة» في مواجهة الأوضاع الجديدة بعد انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، ونيتها مواصلة الانسحاب من الشرق الأوسط، وجاء في المقال: «تستطيع الدول العربية الدفاع عن نفسها، ومواجهة عدوان إيران وتركيا إن هي عملت بشكل موحّد. ضم إسرائيل إلى المجموعة يسهل الأمور ويساهم في مواجهة القوى الإقليمية غير العربية، التي تريد الهيمنة على العالم العربي».

الوقاحة الإسرائيلية لا تعرف الحدود، فالجنرال الذي يحتل جيشه أراض سورية وفلسطينية، لا يجد حرجا في عرض التحالف العسكري والأمني على العرب، وكأن إسرائيل هي التي ستحميهم. هذا كلام مثير للسخرية وحتى للاستخفاف، لولا أنّه قد يلقى آذانا صاغية في بعض العواصم العربية. أكثر من ذلك بدأ بعض الدوائر في إسرائيل بتداول سيناريو تأثير إسرائيلي (عبر الحلفاء العرب) حتى على أفغانستان، وذلك إذا تمت إعادة العلاقات الحميمة بين دول خليجية وأفغانستان الطالبانية وجرى جذبها، بتوفير الدعم المالي، نحو «تحالف سنّي» واستغلال التوتر القديم لمحاصرة إيران عبر أفغانستان أيضا. تريد إسرائيل أن ترث الدور الأمريكي الفاشل في المنطقة، وقبل أن تتوجّه إلى العرب، فهي تعرض خدماتها على الولايات المتحدة، على اعتبار أنّها الحليف الثابت والقوي الوحيد في الشرق الأوسط، وتطلب من الأمريكيين الدعم السياسي والأمني والاقتصادي لبناء تحالف إقليمي يحافظ على مصالح الولايات المتحدة، حتى لو ابتعدت عن المنطقة.

الولايات المتحدة تنسحب من المنطقة وتواصل انسحابها، لكن هذا لن يحدث دفعة واحدة، خاصة أنه وبعد الانهيار المهين في أفغانستان هناك مراجعة لفكرة «ننسحب ونجعل حلفاءنا يعتمدون على أنفسهم». بعد أحداث أفغانستان صار الخروج من المنطقة أكثر إلحاحا من جهة، ولكن درس أفغانستان يدعو الأمريكيين للمزيد من الحذر والتروّي في عمليات الانسحاب. هناك متسع من الوقت أمام الأنظمة العربية لمراجعة حساباتها في ظل عملية الابتعاد الأمريكي عن المنطقة، لكن هذا المتسع محدود بسنوات لا أكثر. الولايات

المتحدة لن تساندها ولن تحميها على المدى البعيد وستتركها تواجه مصيرها، كما فعلت مع الحكومة الأفغانية التي أقامتها هي. وإسرائيل تبيع العرب الأوهام، فهي بالكاد تحمي نفسها. بالتالي فالمصلحة العربية الحقيقية هي التصرّف كذات فاعلة مبادرة، والعمل على مد الجسور نحو طهران وأنقرة للتوصل إلى تفاهمات آنية واستراتيجية لحل المشاكل العالقة في الخليج واليمن وليبيا وسوريا وإيران والعراق. تركيا وإيران ستبقيان قوتين إقليميتين لهما مصالحهما وطموحاتهما في المنطقة، والعرب كذلك لهم مصالحهم وطموحاتهم، وهناك تناقضات وخلافات وصراعات لا أول لها ولا آخر، ولكن وللمفارقة يبدو التفاهم الثلاثي أسهل بكثير من التفاهمات الثنائية. أما بالنسبة لفلسطين فإن اتفاق هذه القوى الثلاث: العرب والأتراك والفرس، هو في المصلحة العربية العامة، التي هي أولا واخيرا المصلحة الفعلية لشعب فلسطين.

4 – إسرائيل ترثي «عظمة» أميركا:

لم تُخفِ تل أبيب استياءها وقلقها من انسحاب الولايات المتحدة الأميركية من أفغانستان، وتأثيره السلبي على مجمل المنظومة العالمية الداعمة لوجود إسرائيل في المنطقة. وهو انطباع لم يولّده القرار نفسه فقط، ولا المضيّ في تنفيذه، بل وأيضاً طريقة التنفيذ، التي ضاعفت التأثيرات السلبية على حلفاء أميركا وشركائها في المنطقة. وإذا كانت السمة الغالبة على الموقف الرسمي الإسرائيلي هي الصمت، إذ لا فائدة من تعليقات علنية تُعمّق الخسارة، وتظهّر الخشية من المستقبل، وترفع سقف توقّعات أعداء الكيان العبري، إلا أن الحدث بحجمه وتداعياته وتأثيراته الاستراتيجية فرض نفسه على الإعلام الإسرائيلي، الذي تكفّل بتظهير موقف تل أبيب، ونظرتها المتشائمة إلى الآتي.

«لا يوجد توصيف غير الهروب والفرار من أفغانستان»؛ «ما حصل أمرٌ مقلق لحلفاء أميركا في المنطقة ولإسرائيل بشكل خاص»؛ «أثبتت أميركا لحلفائها أنه لا يمكن الاعتماد عليها، وهي تلقي بهم على حافة الطريق وفقاً لمصالحها الخاصة»؛ «الانسحاب كما جاء، يُظهر ضعف أميركا ودورها في العالم»؛ «باتت إيران تنظر إلى أميركا على أنها بيت من ورق، وليس فقط نمر من ورق»؛ «إذا كانت أميركا تراهن على إمكان التوصّل إلى اتفاق (نووي) مع إيران عبر الضغوط، فإيران بعد الانسحاب لن تسارع لتستجيب لضغوطها»؛ «الطريقة والصورة اللتان خرجت بهما الولايات المتحدة من أفغانستان، فاقمتا المساوئ

الاستراتيجية للانسحاب»؛ «يعمّق الانسحاب قلق حلفاء أميركا من أنهم خسروا مرتكزهم الاستراتيجي، مقابل خصومهم وأعدائهم». هذه مجرد عيّنات ممّا ورد في الإعلام العبري حول الحدث الأفغاني، وهي كفيلة بإعطاء صورة حول ما تهجس به إسرائيل لناحية تأثيرات الانسحاب الأميركي على أمنها ووجودها واستقرارها ومكانتها، في منطقة تُمسك الولايات المتحدة بمعظم أنظمتها عبر المكانة والسطوة والقدرة الردعية والإكراه، وهو ما يتعارض بطبيعة الحال مع دلالات الانسحاب، خاصة بالكيفية التي حصل بها.

بالطبع، ثمّة مبالغة آنية في المقاربة الإسرائيلية، وشيء من «وضع اليد على الخد»، والذي اعتاده الإعلام العبري في مثل هكذا حالات. إذ لا يشكّل الانسحاب في حد ذاته تحوّلاً كفيلاً بتوليد أضرار استراتيجية يتعذّر احتواؤها، لكنّ الخشية الفعلية لدى صانع القرار في تل أبيب هي ممّا سيليه، على مستويات عدّة. فالمُسلَّم به في إسرائيل هو أن مكانة الولايات المتحدة في وعي أعدائها تمثّل جزءاً لا يتجزّأ من القدرة الإسرائيلية نفسها، بما يشمل مستوى ردع الكيان، ومنعة أمنه، وربّما استمرار وجوده؛ وأيّ تراجُع في هذه المكانة لدى أعداء «الحليفَين» لا ينعكس سلباً على الولايات المتحدة فقط، إنما أيضاً على أمن إسرائيل ومستقبلها. كذلك، لا يمكن النظر، إسرائيلياً، إلى الانسحاب الأميركي من زاوية كونه منفرداً واستثنائياً، بل بوصفه محطّة في مسار بات من الصعب إيقافه، ويُقدّر أن يمتدّ لاحقاً إلى دول وساحات أخرى، من بينها العراق وسوريا. وتدرك تل أبيب أن أيّ تراجع أميركي فيها سيولّد تهديدات لا يمكن حصر أضرارها. بمعنى آخر، تخشى إسرائيل من أن يُسرّع الخروج الاميركي المذل من أفغانستان وتيرة الانسحابات في سوريا والعراق، حيث يتركّز جلّ اهتمامها. وهو إن حصل، سيعني تحوُّلاً استراتيجياً تاريخياً، من شأنه أن يترك آثاره السلبية على مستقبل وجود الكيان.

«مشاهد الانسحاب مرعبة ومخيفة لكلّ حلفاء أميركا في الشرق الأوسط والعالم، وخصوصاً لإسرائيل. تعالوا نعتَدْ على حقبة، سنكون فيها وحدنا مع إيران، من دون إسناد استراتيجي يرتكز على وجود أميركي مباشر يساند موقفنا ومصالحنا». هذا ما وصفت به صحيفة «معاريف» الانسحاب الأميركي، الذي ركّزت صحيفة «هآرتس»، من جهتها، في مقاربة لا تقلّ دلالة، على ظروفه وحيثياته، التي لا ترتبط بقرار أحادي شاذّ، بل بإدراك جمعي أميركي لحدود القدرة على صوغ الواقع من خلال القوة العسكرية». ومن هنا، اعتبرت الصحيفة أن «التأثير الحقيقي على حلفاء أميركا، وخاصة إسرائيل والأنظمة العربية الموالية للغرب، هو أن أميركا الآن، وفي المستقبل المنظور، لديها إدراك متزايد لحدود قدرتها».

بالتالي لا تخفي إسرائيل خشيتها وقلقها العميقين من سيطرة حركة طالبان على أفغانستان، لما لها من تداعياتٍ سلبية على مصالحها الأمنية وبيئتها الاستراتيجية المباشرة، فضلاً عن تعزيز قوة من تسميّهم بالمحور الراديكالي. وذهبت تحليلات إعلامها إلى حد تشبيه ما أقدمت عليه إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن في إفغانستان، بالانسحاب الإسرائيلي المذّل من جنوب لبنان عام 2000، والذي انعكس سلباً على الحدود الشمالية مع تحول حزب الله إلى قوةٍ ضاربة يحسب لها كل حساب. ويجمع معظم المحللين الإسرائيليين على أن تداعيات سيطرة طالبان على زمام الأمور في أفغانستان ستكون كبيرة على تل أبيب. وصوبوا سهامهم على ما يعتبرونه قصر النظر لدى الإدارة الأميركية وتغاضيها عن تحجيم دور إسرائيل، حيال تصاعد اهمية موقف إيران وحزب الله. وفي هذا الصدد، توجهت المراسلة العسكرية في صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية، آنا أحرونيم، بانتقادات لاذعة لإدارة بايدن لعدم استخلاصِها العِبر من لبنان وغزة. وفي إطار شرحها الموقف الإسرائيلي، اعتبرت أحرونيم أن الولايات المتحدة لم تأخذ بالاعتبار قبيل إعلانها الانسحاب من أفغانستان، ما قاسته إسرائيل بعد انسحابها من جنوب لبنان. فبعد 21 عاماً، أصبح حزب الله واحداً من أقوى الجيوش " الميليشياوية" في العالم، ويمتلك ترسانة تُقدر بـ 130 إلى 150 ألف صاروخ موجه نحو إسرائيل. وقد قاتل عناصره في سوريا ودربوا ميليشيات في العراق واليمن. كما أصبح جزءاً مركزياً من الإطار الاجتماعي والسياسي اللبناني، ما يجعل من المستحيل تقريباً اقتلاعه من البنية التحتية المدنية في لبنان. وتابعت المراسلة العسكرية إن انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان وغزة بعث برسالة إلى الجماعات المعادية للكيان العبري مفادها أن هناك طريقة لهزيمة إسرائيل: ليست من خلال العمليات العسكرية أو بالدبلوماسية، بل من خلال إرهاقها حتى تنسحب من الأراضي التي تحتلها. وهذا بالفعل ما كررته طالبان بعدما أنهكت الجيش الأميركي "العظيم والقوي".

الكاتب في صحيفة "جيروزاليم بوست"، هيرب كاينون، وصف قرار بايدن بالانسحاب من أفغانستان بـ"الفوضوي والمتسرع والمذل"، متحدثاً عن شبهٍ كبيرٍ بين انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان وانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان. وشرح الكاتب الإسرائيلي أنه في 24 أيار 2000، وتحت جنح الظلام، أنهى الجيش الإسرائيلي على عجل انسحاباً متسرعاً وفوضوياً من لبنان. وبدلاً من أن ينسحب بطريقة سلسة ومنظمة، انسحب خلسة بين عشية وضحاها وبطريقة غير منتظمة، فاجتاح حزب الله المواقع التي سلّمتها

إسرائيل لحليفها، جيش لبنان الجنوبي، وتدفق سيل عرم من العملاء اللبنانيين إلى الكيان العبري. من ثم توجه رئيس الوزراء الإسرائيلي حينذاك، أيهود باراك، إلى الحكومة اللبنانية مهدداً إياها بأن أي انتهاك للحدود قد يصبح عملاً حربياً. غير أن حزب الله لم يكترث لتهديداته، وعزز ترسانته العسكرية، وبات يهدد أمن إسرائيل. وخير دليل على ذلك إطلاق قذائف صاروخية من جنوب لبنان خلال الاسابيع القليلة الماضية.

ويعيد مشهد دفاع الرئيس الأميركي جو بايدن عن قراره بسحب القوات الأميركية من أفغانستان، بحسب الكاتب الإسرائيلي، إلى الأذهان دفاع إيهود باراك عن الانسحاب من لبنان، إذ ألقى بايدن باللائمة على الجميع، باستثناء نفسه، وعلى التحول المروّع للأحداث. لكن هذا لا يُعفيه من مسؤولية الفوضى في مطار كابول، أو وقوع حوالي 300 ألف أفغاني ممّن ساعدوا الولايات المتحدة وحلفائها في البلاد على مدى العقدين الماضيين، تحت رحمة طالبان، أو من أن لدى الولايات المتحدة أفضل استخبارات تمويلاً وتجهيزاً في العالم. ولكنها فشلت في التنبؤ بمدى سرعة سيطرة طالبان على البلاد.

إن ما حدث في أفغانستان قد أشعل الجدل في الدولة العبرية، حول ضرورة اتباع إسرائيل استراتيجية جديدة، ضد عدوها الأخطر حزب الله. ولعل أبرز الدعوات التي تصب في هذا الاتجاه، جاءت من وكالة "إسرائيل اليوم"، التي دعت إسرائيل إلى الاعتقاد بأن الهزيمة الكاملة لأعدائها هي وحدها التي ستمنع سيناريو أفغانستان. فالأميركيون وحلفاؤهم لم ينجحوا في هزيمة طالبان ولا في السيطرة على أراضي أفغانستان. واعتمدوا على تقديرات استخباراتية ثَبت أنها خاطئة. أمّا الدرس الآخر الذي يمكن أن تتعلمه إسرائيل من انتصار طالبان، وفق الوكالة، فهو أن فائض القوة العسكرية والاستخبارات والخبرة لا تعني دائماً كسب الحرب ضد عدو يختبئ بين السكان المدنيين في الأراضي التي يسيطر عليها. فلقد أُتيحت لإسرائيل فرصة هزيمة حزب الله عسكريا في عام 2006 أثناء حرب تموز، وإلحاق ضرر بالغ بحماس خلال الحروب الأربع في غزة، لكنها لم تتمكن من ذلك. وهنا ثَبت أيضاً أن الاعتماد على الاتحاد الأوروبي أو الأمم المتحدة لحفظ السلام كان خطأً جسيماً في كلٍ من لبنان وغزة. وخلصت الوكالة إلى القول إن الهزيمة الفعلية للمشروع الأميركي في أفغانستان يجب أن تعلّم إسرائيل أنها لا تستطيع الاعتماد بشكلٍ كامل حتى على حليفها الأول، الولايات المتحدة. وتبقى العين شاخصةً إذا ما كانت الحكومة الإسرائيلية الحالية تفهم هذه الدروس أم لا، مع إرسال رئيس الوزراء نفتالي بينيت ووزير الخارجية يائير لابيد إشارات مختلطة إلى أعداء إسرائيل.

5 – ما الذي استفادته اسرائيل من تجربة افغانستان؟

تسعى إسرائيل الاستفادة من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وترسيخ نفسها كشرطي لمنطقة الشرق الأوسط وأنها الدولة الوحيدة التي بإمكان أميركا الاعتماد عليها. ففي مقال للمحلل السياسي في صحيفة "يديعوت أحرونوت"، ناحوم برنياع، قال: إن إسرائيل لن تخون ولن تنهار، وإدارة الرئيس الامريكي جو بايدن تتعامل الآن بتشكك مع حلفاء قدامى مثل السعودية، قطر ومصر. ولديه انتقادات تجاه إسرائيل أيضا، لكن لا يوجد شريك له في المنطقة، قوي ومخلص، مثلها، على حد زعمه. وأضاف أن إسرائيل وحكومتها ستتأثران "بالانطواء الأميركي"، وأن هذه القضية ستخيم على اللقاء المزمع عقده بين الرئيس الأميركي، جو بايدن، ورئيس الحكومة الإسرائيلية، نفتالي بينيت، في البيت الأبيض بشأن محاولة اسرائيل تعزيز وترسيخ علاقتها ومكانتها مع الولايات المتحدة إذ أنها تتوقع انسحابا آخر من العراق بعد انسحابها من شمال سورية.

اسرائيل إضافة إلى أنها شرطي المنطقة، هي امتداد للاستعمار الاستيطاني القديم الجديد ومهمتها الحفاظ على المصالح الامريكية في المنطقة، ومحددات السياسة الامريكية واضحة بشأن إسرائيل وهي الحفاظ على مصالحها وبقائها، لأنها ذخر استراتيجي لها. رئيس الوزراء الاسرائيلي نفتالي بينت يأمل مما جرى في افغانستان أن تتعزز مكانة إسرائيل وحكومته الهشة لدى الادارة الأمريكية خاصة بعد هزيمة نتنياهو وعلاقته بالرئيس السابق دونالد ترامب. وما يسعى إليه بينت خلال اللقاء مع بايدن هو تعزيز علاقته بالرئيس الأمريكي ومساعدته ومنحه دعما دوليا والعمل ضد إيران وحثها على مواجهة ايران وإدخالها ضمن اهتمام الإدارة الامريكية. لقاء بايدن– بينت سيتناول التهديد الإيراني، رغم أن الأخير يعلم أن القرار الأميركي بشأن توقيع اتفاق نووي جديد متعلق بالأساس باستعداد إيراني وليس بتحفظات إسرائيلية.

المحلل العسكري في صحيفة "هآرتس"، عاموس هرئيل، قال؛ أن الانطباع لدى مسؤولين إسرائيليين التقوا مؤخرا مع نظرائهم الأميركيين، هو أن إدارة بايدن تركز اهتمامها كله على ثلاث مهمات أساسية، هي كورونا وتغيير المناخ والصين. ولحظ أفغانستان السيء، التي تخلت عنها الولايات المتحدة، أنها لا يظهر في هذه القائمة القصيرة. وستحاول إسرائيل، ولن تنجح على ما يبدو، إدخال مهمة واحدة إلى هذه القائمة، تبدأ بالحرف

أ، إيران. وسيبذل بينت جهدا من أجل أن يحشد على الأقل القوة الاقتصادية العظمى الأميركية ضد إيران. وأحداث الأسبوع الأخير ينبغي أن تكون درسا للذين يبنون القوة العسكرية الإسرائيلية والذين يمارسونها، كما قال المحلل العسكري في القناة 13 التلفزيونية، ألون بن دافيد، في مقاله الأسبوعي في صحيفة "معاريف"، واضاف أن الانهيار الفوري للسلطة الأفغانية مقابل طالبان ينبغي أن يكون درسا لجميع مؤيدي فكرة "تدمير حكم حماس" بيننا.

أضاف الكاتب أن "بإمكان الجيش الإسرائيلي أن يحتل غزة خلال بضعة أيام من دون صعوبة بالغة. وأن يديرها ويقيم فيها حكما يستند إلى حرابنا، لكن هذه ستكون مهمة مع أثمان شديدة وطويلة ومع احتمالات نجاح ضئيلة". وحول أفغانستان قال بن دافيد أنهم يترددون في إسرائيل حول ما إذا كانت المشاهد من أفغانستان هي دليل آخر على أن الولايات المتحدة لن تحرك ساكنا مقابل إيران القريبة من سلاح نووي، أم أن المس بصورة أميركا ستجعلهم يظهرون حزما أكثر. الجدير بنا أن نتبنى الفرضية الأولى، وهي أن هذه الإدارة سترتدع عن ممارسة القوة العسكرية، وأننا سنقف أمام مصيرنا لوحدنا ضد إيران، التي تقترب يوميا من كونها دولة عتبة نووية. في المقابل تتوقع مصادر اسرائيلية أن بينت سيتناول خلال لقائه مع بايدن القضية الفلسطينية، وسيحاول بينت تركيز النقاش على حلول عملية، وأن الفترة الحالية ليست ناضجة، سواء لدى الجانب الإسرائيلي أو الجانب الفلسطيني، لخطوات سياسية كبيرة. وبالإمكان تقديم تسهيلات وزيادة عدد العمال الفلسطينيين، وتنفيذ عدد من الخطوات الميدانية الصغيرة والمدروسة. وستكون الرسالة بين السطور لبايدن أنه إذا أردت استمرار ولاية حكومة بينت لابيد لا تمارسوا ضغوطا علينا. سواء انسحبت امريكا من افغانستان او العراق او اماكن اخرى، فهذا لا ينعكس على اسرائيل والقضية الفلسطينية في المدى القريب سواء بعملية سلمية تحاول بعض الاطراف التسويق لها، او مقاومة فلسطينية محاصرة وشيطنته المقاومة وعدم الاستفادة من هبة القدس واثار العدوان الاسرائيلي العسكري على قطاع غزة، ومطلوب رأسها من امريكا وعدد ليس قليل من دول الاقليم، وهذا في ظل السياسة الإسرائيلية القديمة الجديدة القائمة على التنكر للحقوق الفلسطينية و ادارة الصراع وليس حله وترسيخ نفسها كنظام فصل عنصري واستكمال المشروع الصهيوني بتهويد القدس والضم الزاحف.

إن التحرر من الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية لا يكون بالتوسل وانتظار الوعود وفتح مسارات سياسية وهمية ودعم وتقوية السلطة في مواجهة ازمتها الاقتصادية، كل ذلك من أجل الحفاظ عليها كراعي للتنسيق والتعاون الامني كمصلحة اسرائيلية فضلى. بل ينبغي أن يمنح الحدث الأفغاني الفلسطينيين القوة والاستمرار في مقاومة الاحتلال، وأن عدالة القضية الفلسطينية هي الدافع لمواجهة نظام الفصل العنصري الصهيوني الذي يتنكر لحق الفلسطينيين وهو نظام غير مستعد للتخلي عن طبيعته كنظام فصل عنصري أو حتى عن دونم واحد أو ما يسمى بالبؤر الاستيطانية غير الشرعية في الضفة الغربية.

6 – اسرائيل في قلب مشهد الانسحاب:

بعد نحو 20 عاماً على الغزو الأميركيّ لأفغانستان، تمكّنت حركة "طالبان" من دحر قوات الاحتلال الأميركي، ودخلت العاصمة الأفغانية كابول من دون مواجهة عسكرية حقيقية، بعد أن هرب الرئيس الأفغاني ونائبه المواليان للإدارة الأميركية، واستسلمت القوات الأفغانية، ولم تقاوم قوات الحركة، رغم الفارق الكبير في الإمكانيات العسكرية والبشرية التي أنفقت عليها الإدارة الأميركية مليارات الدولارات تدريباً وتسليحاً، لتكون جاهزة لحظة المواجهة، لكن إرادة القتال كانت معدومة، في مقابل روح قتالية عالية لقوات "طالبان".

عوامل كثيرة ساهمت في دحر الاحتلال الأميركي والمتعاونين معه من أفغانستان. ورغم أنّ العامل الأهم هو إرادة مقاتلي طالبان وقدرتهم على خوض حرب استنزاف ضد القوات الأميركية، رغم فارق القوة الهائل بين الطرفين، فإنَّ توجهات السياسة الأميركية الخارجية ألقت بظلالها على قرار الانسحاب؛ فهي تتجه للتركيز على منافسيها الدوليين روسيا والصين، وتعتقد أنَّ تدخلها المباشر في المنطقة، وخصوصاً في العراق وأفغانستان، أدى إلى استنزافها عسكرياً وبشرياً واقتصادياً، ولم يحقّق النتائج التي أُريد تحقيقها، بل بالعكس تماماً، فما حدث عزَّز مكانة منافسيها الدوليين في مقابل تراجع مكانتها كقوّة عظمى هي الأولى عالمياً.

في المقابل راقبت "إسرائيل" تسارع الأحداث والتطورات في أفغانستان وكأنها في قلب المشهد، رغم بعد المسافات، فلماذا اهتمت بالحدث الأفغاني؟ وهل تخشى التداعيات التي قد يتركها الانسحاب عليها؟ وما هي هذه التداعيات؟

دوائر صنع القرار الصهيوني تعتقد أنَّ الحدث الأفغاني ليس معزولاً عنها؛ ففي البعد النفسي والمعنوي، عندما تتمكَّن قوة تحرّر وطني من دحر قوة احتلال أجنبي، فإن ذلك يعني إنذاراً وهاجساً لها كقوة احتلال، وربما استحضر الكيان مشهد الانسحاب الأميركي وكأنّه مشهد يخشى تكراره على أرض فلسطين التي احتلّها وهجّر أهلها قبل نحو 73 عاماً.

تدرك "إسرائيل" من جهة أنَّ الانسحاب الأميركي من أفغانستان يعني تراجعاً في مكانة ودور أكبر حليف لها. ومن جهة أخرى، هو رسالة تخلٍّ عن الحلفاء والأصدقاء ساعة العسرة. وربما لا نبالغ إذا اعتقدنا أن قيادة العدو تتساءل في دوائرها المغلقة: هل يأتي اليوم الذي تتخلى فيه صديقتنا الصدوق "أميركا" عن "إسرائيل"، وتدير لها ظهرها، في حال تحول الحلف إلى عبء عليها، وليس رافعة لها؟!

لا شك في أنَّ الهواجس الإسرائيلية تتطابق تماماً مع هواجس دول التطبيع العربي المتحالفة مع الولايات المتحدة، بل هي أكثر وأشدّ وأعمق. وتخشى "إسرائيل" أن تتراجع قوة الدفع العربية نحو التطبيع والتحالف معها والبحث عن سياسة أكثر توازناً في المنطقة، نتيجة انعدام اليقين تجاه تماسك تحالفها مع الولايات المتحدة، والتي اعتبرت أن التطبيع مع "إسرائيل" رافعة لهذا التحالف. بالتالي تعي قيادة العدو الإسرائيلي أنَّ انتصار "طالبان" سيترك رسالة مشجعة ومحفزة لحركات المقاومة في المنطقة، ما سيدفعها إلى التمسك بنهج المقاومة المسلحة ضدها، ويراكم مقدراتها، ويعزز حلف المقاومة ومحوره في المنطقة، الذي ربما تنضم إليه دولة جديدة، هي أفغانستان، بقيادة حركة "طالبان" الإسلامية. وما عزّز تخوفات العدوّ هو الصور والرسائل المتبادلة بين قيادة حركة "حماس" وقيادة حركة "طالبان"، ولا نستبعد تنظيم زيارات ولقاءات بين قيادة "طالبان" وقيادات محور المقاومة في المنطقة.

عسكرياً، تخشى "إسرائيل" أن تنتقل التكنولوجيا والخبرة العسكرية التي اكتسبتها حركة "طالبان" إلى يد حركات المقاومة في المنطقة. والتخوفات العديدة والهواجس المختلفة التي يعيشها الكيان الصهيوني ليست مستغربة، بل هي حالة طبيعية لكيان يعلم حقيقة وجوده ونشأته الاجرامية وغير الشرعية على أرض فلسطين. وبرغم ما يتمتع به العدو من تحالف فريد من نوعه مع الولايات المتحدة الأميركية، فإنه يبقى تحالفاً قائماً على المصلحة والاستخدام، وكما قال كيسنجر: "لا توجد صداقات دائمة، بل مصالح دائمة"، والعدو يدرك أن مكانته لدى حليفه الأميركي تتراجع، وباتت دوائر قريبة من صناعة القرار الأميركي تعتقد أنَّ "إسرائيل" تتحول تدريجياً إلى

عبء. ومع ما تشاهده "إسرائيل" بأمّ عينيها من الهروب المذل للنظام الأفغاني الموالي لأميركا أمام جحافل قوات "طالبان"، ربما عليها استحضار مشهد أكثر ذلاً عند اندحارها في المستقبل من فلسطين.

7 – خاتمة:

تعاطت وسائل الإعلام الاسرائيلية مع الانسحاب الاميركي الذليل من أفغانستان بأسلوب ساخر أحيانا وبلهجة متحسرة وغاضبة أحيانا أخرى، لكنها اختصرت الاستنتاج الأساسي من الانسحاب وهو: الويل لإسرائيل في مستقبل الأيام إذا انكشف الغطاء الأميركي عنها أيضا في المستقبل. وفيهذا السياق علّقت القناة الإسرائيلية 13 على الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، ورأت أنه مع "إجلاء القوات الأميركية آخر مواطنيها، فإنها في الواقع تهرب من أفغانستان، وهو ليس انسحاباً كما تقدّمه الإدارة الأميركية". ولفتت القناة إلى أن "الإدارة الأميركية تعاملت مع الصور من مطار كابول على أنها انسحاب، لكن هذا هو بالفعل هروب"، معتبرة أنه "بعد 20 عاماً تخرج الولايات المتحدة من أفغانستان في عهد جو بايدن بصورة مهينة". ورأت "القناة 13" أن خروج القوات الأميركية والتخلي عن الذين تعاونوا معها في أفغانستان "مرعبان لكل حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وهذه بشارة سيئة لإسرائيل"، مشيرة إلى أن "الرسالة الموجَّهة إلينا هي أنه تعالوا نتعوَّدْ على حقيقة، ربما قد نكون وحدنا أمام ايران. هذه الإدارة لا يهمها ولا يعنيها هذا الأمر. هذا الحدث قاسٍ جداً، وهذا ما يجب أن يُقلقنا". بدورها، قالت "القناة 12" الإسرائيلية إن "الولايات المتحدة استثمرت 88 مليار دولار في الجيش الأفغاني على مدى 20 عاماً"، معتبرة أنها "قصة مدهشة". وأضافت القناة نفسها أن هذه الأموال اختفت في شهر واحد. وتابعت "يوجد هنا أمر رمزي، وهذه الرمزية تُستخدم اليوم من جانب القوى المناهظة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط؛ بمعنى أن من يعتمد على أميركا فهذه هي نهايته، وسيجد نفسه وحيداً، وعرضة لانتقام سلطة مثل طالبان". ورأى معلق الشؤون العسكرية في "القناة 12"، نير دفوري، أن "الانسحاب الأميركي من الشرق الأوسط سيؤثّر في العراق وسوريا".